

الشيخ
أبو عبد الفتاح علي بن حاج

غاية البيان والتدقيق

في إقامة الحجة على قاضي التحقيق

الجبهة الإسلامية للإنقاذ

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

معشر القرّاء الأفاضل...

بعد أن انتهى إلى علمنا أنّ الأخ أبا عبد الفتاح سيقدم قريباً إلى المحاكمة الثانية في «المظالم الخاصة» التي اخترعها النظام الطاغي الظالم الخارج عن قانون السماء والأرض لقهر المسلمين، وتكميم أفواه الدعاة العاملين، وتصفية خصومه السياسيين الذين هزموه شرّ هزيمة في ميدان الصراع السياسي السلمي عن طريق الانتخابات مرّتين رغم دسائسه ومكره للمسلمين في الخفاء «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» عزمنا بعون الله تعالى على نشر بعض رسائله التي خطّها بيمينه من وراء السجن العسكري بالبليدة دون خوف أو وجل معالجا فيها بعض القضايا الشرعية ومذكراً ببعض الوصايا النافعة المفيدة فجزاه الله

وسائر إخوانه الشيوخ خير الجزاء وفكّ أسرهم وسائر المساجين الذين وقع عليهم البغي والاعتداء، ورحم الإخوة الشهداء الأتقياء وثبّت أقدام المجاهدين الأشدّاء، وخفّف على سائر الشعب الظلم والعناء الذي سلّطه عليهم الطغاة الأشقياء.

والرسالة التي يطيب لنا نشرها في هذا الكتاب هي رسالة كتبها الشيخ علي بن حاج من باب النصيحة لقاضي التحقيق سليماني كي يتخلّى عن العمل في القضاء الذي لا يحكم بما أنزل الله تعالى. وهذا يدل على حرصه على النصح لدين الله ولو كان بين يدي أعتى خصومه، ولم يخف أن يتعرّض لقضية أخرى. وهذا حال الشيخ الفاضل علي بن حاج جزاه الله عنّا وعن المسلمين خير الجزاء. «آمين»

ألمانيا في 14 رجب 1414هـ الموافق لـ 1993/12/27م.

رئيس الهيئة التنفيذية
للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج

رابح كبير

تمهيد

الحمد لله القائل في الكتاب العزيز :

﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ الفرقان : 27-29 .

أحمده حمد الصابرين الشاكرين وأستغفره استغفار المذنبين التائبين ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه شهادة حق قامت بها الأرض والسماوات وفطر اللّه عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونُصبت القبلة ولأجلها جرِّدت سيوف الجهاد وبها أمر اللّه سبحانه جميع العباد فهي فطرة اللّه التي فطر الناس عليها ، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسن الرسل إليها ، فهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وأساس الفرض والسنّة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وحُجّتِه على عباده ، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين ، وحجة على المعاندين وحسرة على الكافرين ، أنزل اللّه عليه كتابه المبين ، الفارق بين الهدى والضلال ، والغيّ والرشاد ، والشّك واليقين . رفع ذكره وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمره ، وافترض على العباد

اعته ومحبته والقيام بحقوقه، فهو الميزان الرّاجح الذي على أخلاقه
قواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال وعلى آله وصحبه
حمعين إلى يوم الدين.

أما بعد أيها القاضي:

بعد التحية والسلام نشرع مباشرة في الكلام. نحن معشر المسلمين
امة والدّعاة إلى الله عز وجل خاصة أمرنا بالدعوة والبيان ولو كنّا
ساجين وراء القضبان، وأوجب الله علينا الصدع ولو وضعت رِقابنا
لى النَطع، فالدّاعية المُخلص ينبغي أن يتحرك بدعوته ولو كان
أسوراً ولنا في قصة سيدنا يوسف عليه السلام خير دليل، فقد دعا
ى التوحيد الخالص بأنصع بيان وحذّر من ملة الكفر والعصيان
حوّل أرض السجن إلى ميدان دعوة وإقامة حجّة. قال الله تعالى
اكياً دعوته للتوحيد الخالص وللعقيدة الحقّة التي بها يتميّز المحق
ن المبطل وأصحاب الجنة من أصحاب النار ﴿يا صاحِبَي السِّجنِ
رَبَابٌ مُتَفرّقُونَ خَيْرٌ أم الله الواحد القَهّار؟! ما تعْبُدُونَ مِنَ دُونِه
؟ أسْمَاءً سَمّيتُمُوهَا أنْتُم وآباؤُكُم مَا أنْزَلَ الله بِها مِنْ سُلْطَان * إنِ
لحكْمُ إلا لله أمَرَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاه ذلِك الدّينُ القَيّمُ وَلَكِنّ أكْثَرَ
نّاسِ لا يعْلَمُونَ﴾ يوسف: 39 ـ 40.

فمن هذا المنطلق الشرعي، وإقامة للحجة وبيان المحجة رأيت
هذه المرة ـ أن أُخاطبكم أيها القاضي للتحقيق بالمظلمة العسكرية

بالبليدة كتابة لا مشافهة إمعاناً في الإعذار وقياماً بواجب الصّدع بالحق وكذا بواجب النصح الذي أمرنا به شرعاً ﴿لِمَنْ كانَ لَه قَلْبٌ أو ألْقَى السَّمع وهُوَ شَهِيدٌ﴾، راجياً من اللّه تعالى أن تمعن النظر في هذه الرسالة من أوّلها إلى آخرها فهي حجّة لك أو عليك وما علينا نحن معشر المساجين إلا أن نطبق قوله تعالى ﴿وقل الحقّ من ربّكم فمنْ شاءَ فليُؤمِنْ ومَنْ شاءَ فليَكْفُر ...﴾ الكهف: 29.

وليكن في منتهى علمكم أنني ما سلَلْتُ قلمي من غمده ولا حططت هذه الأشاهج بيميني من أجل أن أردّ على تلك التُهم المُلفقة من طرف النيابة العامة ـ عاملها اللّه بما تستحق في الدنيا والآخرة ـ فهي لا تستَحقّ منّي التفنيد والتقويض لتفاهتها وحقارتها بل لو شئت أن أشرع في دحضها لتركتها قاعاً صَفصَفاً، ولكنّه غير مستغرب من نظام مرَدَ على النفاق والمكر بالأبرياء أن (يُلفِق ويُفبْرِك) تهماً لخصومه السياسيين لا سيما إن كانوا مسلمين لا يخافون في سبيل اللّه لومة لائم ولنا أسوة حسنة في سيدنا يوسف عليه السلام الذي أُدخل السجن ظلماً وعدواناً بل وبعد أن ظهرت علامات براءته ناصعة للعيان قال تعالى مبينا ذلك ﴿ثُم بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ يوسف: 35.

وإنما الدافع الحقيقي لكتابة هذه الرسالة هو أن أوضح جملة من النقاط حتى تكون الحجّة أبلغ وأوقع وأنصع وأقطع، وإليكم تلك

النقاط إجمالاً ثم تفصيلاً وإسهاباً راجياً من المولى تبارك وتعالى أن يفتح قلوبنا للحق والعمل به والابتعاد عن الباطل والوقوف في صفه سائلاً الله تبارك وتعالى من خالص قلبي أن لا تشملك هذه الآية الرهيبة بعد وضوح البيان ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾ الأعراف: 175 ـ 176.

وإليكم النقاط التي أبغي علاجها في هذه الرسالة:

1 ـ وجوب الصدع بالحق على الدعاة وأهل العلم نُصحاً للأمة وللحكام.

2 ـ بيان هدف الإضراب وكيف غَدَرَ النظام بالشعب الآمن.

3 ـ الابتلاء والصراع مع أهل الباطل (ضربة لازب) إلى قيام الساعة.

4 ـ خطورة منصب القضاء وحكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

5 ـ نصح قاضي التحقيق بالاستقالة من القضيّة والمنصب.

6 ـ المستقبل للإسلام مهما كاد الكائدون.

والآن لنشرع على بركة الله في التفصيل والتفصيص بعد الإجمال وعلى الله وحده التكلان.

أولاً

وجوب الصدع بالحق

على الدعاة وأهل العلم

نصحاً للأمة وللحكام

الدارس لسيرة السلف الصّالح قديماً وحديثاً يجد أنهم ضربوا أمثلة رائعة في القيام بواجب الدّعوة والتبليغ فصدعوا بالحق يوم أحجم الناس، وَنَهوْا عن المنكر يوم تخلف الناس وأمروا بالمعروف يوم غفل الناس وبيّنوا الأحكام يوم كتم أشباه العلماء ما أوجب الله عليهم بيانه فكانوا بذلك حقاً هم ورثة الأنبياء، خُوِّفُوا فما خافوا وعُذِّبوا فما استكانوا وهدِّدوا فما لانوا ولا داهنوا وضربت أعناق بعضهم بالسيف أو الرصاص وهم يردّدون "فزت وربّ الكعبة" أو يردّد قول أحدهم من أصحاب اليقين من صحابة رسول الله ﷺ:

غداً ألاقي الأحبة محمّداً وحــــزبه

وما بلغوا هذه الدرجة السامقة إلا لأنهم أدركوا من كتاب ربّهم وسنّة نبيهم أن واجب الدعاة خاصة يتمثل في الصدع والبيان، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإليك

بعض النصوص القرآنية والحديثية في تقرير هذا الواجب من أهل العلم خاصة قال تعالى آمراً رسوله ﷺ ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ الحجر: ٩٤ ، وقال له أيضاً ﴿يا أيها المدّثر * قُم فأنذر * وربّك فكبّر﴾ المدثر: ١-3 . وقال لهذه الأمة ﴿ولتكُنْ منكم أمّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحُون﴾ آل عمران: 104 . وقال للعلماء ﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهُدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم﴾ البقرة: 159 ـ 160 .

وقد أخذ الله ميثاق البيان حتى على علماء بني إسرائيل ﴿وإذْ أخَذَ الله مِيثاقَ الذين أتُوا الكتاب لتُبيّنُنّهُ للنّاس ولا تَكتُمُونَه . . .﴾ آل عمران: 187 .

والنصوص القرآنية في هذا المعنى كثيرة، وإذا انتقلنا إلى الأحاديث النبوية الصحيحة فإننا نجد أنّ الرسول ﷺ يقول «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله»، «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار». بل هنالك من الأحاديث ما حمل بعض الصحابة على أن يقول ليتني لم أسمعه خوفاً من أن يعجز عن القيام بما جاء فيه من أمر جازم وهو قوله عليه الصلاة والسلام «لا يمنعنّ رجلاً هيبته للناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده

أو سمعه». وفي رواية «إذا رآه أو شهده أو سمعه» قال أبو سعيد: وددت أني لم أكن سمعته، وقال أبو نضرة: وددت أني لم أكن سمعته، وقال أبو سعيد: فما زال بنا البلاء حتى قصرنا، وإنّا لنبلغ في الشر، بل قال أيضاً: فحملني على ذلك أني ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت. قلت: هذا مع معاوية الذي يحكم بما أنزل اللّه فكيف لو كان هذا الصحابي في عصرنا ؟!!! ولذلك قال عبد اللّه بن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿واتّقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة﴾ الانفال: 25. قال: «أمر اللّه المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم العذاب».

وإذا كان ميمون بن مهران وهو قريب العهد بعصر النبوّة يقول مستنكراً لأهل عصره «لو نُشِر فيكم رجل من السلف ما عرف إلا قبلتكم». وقال أيضاً معاوية بن قرّة لأهل زمانه «أدركت سبعين من الصحابة لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم فيه إلاّ الآذان»، فكيف بهؤلاء القوم الأخيار لو بعثوا في زماننا هذا، حيث حدود اللّه معطّلة وشريعة اللّه مهجورة وأحكامه يُستهزأ بها ويكفر بها والمعاصي كبائرها وصغائرها غطّت الآفاق، وظهر الفساد في البرّ والبحر والجوّ، فكيف لو بُعِثُوا ووجدوا العلماء قابعون في الزوايا ويختفون وراء التّكايا لا ينكرون منكراً ولا يأمرون بمعروف يجارون العامة في أهوائهم والحكّام في فسادهم ويفرّخون لهم الفتاوى الجاهزة الباطلة ؟!!!

وهل بعد كل هذه المخالفات الصارخة للشريعة إذا رفعنا صوتنا وقلنا حرامٌ هذا قال الطغاة السكوت أو الموت أو المسايرة أو السجن لأنكم تحرّضون على الفوضى والشغب ؟. ألا قبّح الله وجوه هؤلاء القوم!! ألم يعلموا أنّ الرسول ﷺ رخص لحسّان بأن ينال من المشركين على المنبر وفي مسجده فقال له : «أهج المشركين فإنّ جبريل معك» ، وقال له أيضاً «أهج بالشعر إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله والّذي نفس محمد بيده فكأنّما تنضحهم بالنبل» ، وقال له أيضاً «إنّ الله يؤيّد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ» ، وقال لعبد الله بن رواحة «إذهب إلى أبي بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك». نعم إن مقاومة الباطل باللسان تعدل في كثير من الاحيان المقاومة بالسنان.

فالإسلام - أيها القاضي - يكره الظلم ولا ظلم أقبح وأشنع من الشرك ، ومن الشرك الذي حرمه الله الحكم بغير ما أنزل الله ، ولذلك وجب عليّ شرعاً أن أصدع بكلمة الحق وليكن ما يكون فالأعمار بيد الله والأرزاق بيد الله ولو علمت أنّ الأرزاق والأعمار بأيديكم أو بيد المحكمة الظالمة لاتخذتكم آلهة أو أرباباً ولكن علمت أن كل ذلك ليس بأيديكم ، وإنما بيد الله وحده ، فوالله لأصرخنّ بالحق حتى تنفرد سالفتي ثم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. فقد جاء في الحديث الصحيح «أفضل جهاد كلمة حق عند

سلطـان جائر»، وقد قال العلامـة المنـاوي في كتابه فيض القديـــر ج 2/ص 30 : «أراد بالكلمة الكلام وما يقوم مقامه كالخط "عند سلطان جائر" ، أي ظالم لأنّ مجاهد العدو متردّد بين الرجـاء والخـوف وصـاحب السـلطان إذا أمره بمعروف تعرّض للتلف فهو أفضل من جهة غلبة خوفه» وأترك للإمـام الغـزالي يصـوّر لنـا كيف كانت سيرة السلف في الصّـدع بالحـقّ ، قال في الإحياء ج 3 «فإذا كان لا يخاف إلا علـى نفسـه فهو جـائز بل مندوب إليه فلقد كـان من عادة السلف التعرّض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المُهجـة والتعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة... ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأنّ أصحاب ذلك إن قُتِل فهو شهيد كما وردت الأخبار، قدموا على ذلك موطّنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات اللّه تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند اللّه...

فهذه كانت سيرة العلمـاء وعادتهم في الأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكر، وقلة مبالاتهم بسـطوة السّلاطين، لكنّهم اتكلـوا على فضل اللّه تعالى أن يحرسـهم ورضـوا بحكم اللّه تعالى أن يرزقهم الشـهادة. فلما أخلصـوا للّه النية أثّر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها وأزال قسـاوتها، وأما الآن (يقصد زمانه) فقد قيدت الأطماع ألسُن العلماء فسـكتوا وإن تكلمـوا لم

تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحِسبة على الأراذل. فكيف على الملوك الأكابر والله المستعان على كل حال.

وهذا الشيخ ابن قيّم الجوزية يصوّر ما كان عليه السلف الصالح في إعلامه ج 2/ص 144: «ما قاله عبادة بن الصامت وغيره بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم - ونحن (ابن القيم) نشهد بالله أنّهم وفّوا بهذه البيعة وقالوا بالحق وصدعوا به، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولم يكتموا شيئاً منه مخافة سوط ولا عصاً ولا أمير ولا والٍ كما هو معلوم لمن تأمله من هديهم وسيرتهم، فقد أنكر أبو سعيد على مروان وهو أمير على المدينة وأنكر عبادة بن الصامت على معاوية وهو خليفة وأنكر ابن عمر على الحجّاج مع سطوته وبأسه وأنكر على عمرو بن سعيد وهو أمير على المدينة وهذا كثير جداً من إنكارهم على الأمراء والولاة إذا خرجوا عن العدل لم يخافوا سوطهم ولا عقوبتهم، ومن بعدهم لم تكن لهم هذه المنزلة بل كانوا يتركون كثيراً من الحق خوفاً من ولاة الظلم وأمراء الجور فمن المحال أن يوفّق هؤلاء للصواب ويحرمه أصحاب رسول الله ﷺ).

وأبدع في موطن آخر في كتاب آخر «ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس ديناً والله المستعان، وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تُضاع ودينه يترك وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلّمت لهم مأكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزّن المتلمّظ ولو نزع في بعض ما فيه عضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل وجدّ واجتهد فاستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون وهو موت القلوب: فإنّ القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل».

كما كشف لنا فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا عن سبب من أسباب خذلان العلماء للدين فقال: ج 4/ص 283 «وأعلم أنه لا مفسدة أضر على الدين وأبعث على إضاعة الكتاب ونبذه وراء الظهر واشتراء ثمن قليل به من جعل أرزاق العلماء ورتبهم في أيدي الأمراء والحكّام، فيجب أن يكون علماء الدين مستقلين تمام الاستقلال دون الحكّام، لا سيّما المستبدين منهم. وإنني لا أعقل معنى لِجَعْل الرتب العلمية ومعايش العلماء في أيدي السلاطين والأمراء إلا جعل

هذه السلاسل الذهبية أغلالاً في أعناقهم يقودونهم بها إلى حيث شاءوا من غشّ العامة باسم الدين وجعلها مستعبدة لهؤلاء المستبدين ولو عقلت العامة لما وثقت بقول ولا فتوى من عالم رسميّ مطوق بتلك السلاسل».

ولا بأس أضرب مثالاً بعالمٍ ربّاني كان شعْلَـةً من نار ونور معاً ألا وهو عيسى ابن المنكدر القرشي قاضي مصر، وكان فقيراً ورجلاً صالحاً وكانت له جماعة وطائفة من أصحابه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلما ولّي كانت تلاقيه فتعرّفه بما حدث فيترك الحكم ويصير معهم لتغيير، فكان إذا عذله أحد في هذا يقول: لا بد من القيام بأمر اللّه ولي قاضياً مدة سنتين فلما كان شديداً في الحق لا يهاب ولا يخاف ولا يجبن عزله المعتصم عند قدومه إلى مصر وأقامه للناس وسجنه وكانت العامة من وراءه يثنون عليه ويصيحون فخافوا منه فأخرجه المعتصم معه إلى بغداد فمات بها سجيناً رحمة اللّه عليه.

وهكذا ينبغي أن يكون دعاة الإسلام في القيام والصّدع بالحق. واللّه المستعان.

خلاصة هذه النقطة:

والخلاصة التي يمكن الوصول إليها بسهولة ويسر من خلال هذا العرض بخصوص هذه النقطة هي أنّ الشارع الحكيم أوجب على جماهير الدعاة إلى الله تعالى البيان والإعذار والنصح والصدع بكلمة الحق وأن الساكت عن الحق شيطان أخرس والمتكلم بالباطل شيطان ناطق.

والسؤال الذي يمكن طرحه عليكم أيها القاضي هل جزاء من قام بواجبه الشرعيّ السّجن وتلفيق التّهم الباطلة أصلاً وفرعاً ؟!!، ثم ما حكم الذي يُقدم على محاكمة الدّعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟!!. والله تبارك وتعالى يقول ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾ القلم: 35 ـ 36. بل ما مصير الذي يقضي عليهم بمواد تنص على الاعدام أو السجن المؤبّد ؟ ؟!! وصدق الله العظيم إذ يقول في مثل الذين يأمرون بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴿إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ آل عمران: 21 ـ 22.

ثانياً

بيان هدف الاضراب

وكيف غدر النِّظام

بالشعب الآمن ليلاً

إعلم أيها القاضي أن هذه النقطة لن تستغرق مني وقتاً طويلاً في التحرير والتحبير، وإنما حسبي أن أذكر نقاطاً فرعية تتفرّع عن هذه النقطة الأصل.

الفرع الأول: مشروعية الاضراب وسلميته

ليكن في علمكم أن الإضراب الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ يتميز بأمرين:

أ ـ أنه وسيلة سلمية شرعية ولستُ الآن بصدد إقامة الأدلة على ذلك، فقد عالجت ذلك بإسهاب في مقالة لي نشرت مؤخراً في صحيفة البلاغ.

ولا بأس أن أنقل نص ما قاله د / محمد عبد القادر أبو فارس ص 272 من كتابه «النظام السياسي في الإسلام» عندما تحدث عن

عزل الحاكم والطرق السلمية التي يمكن اتخاذها، وذهب إلى نفس القول صاحب كتاب «الإمامة العظمى» ص 520 وملخص ذلك:

1 - يمكن أن يتم العزل عن طريق التقدم إلى الإمام الفاسق أو الجائر، وتبيان الأمور له بأنه لم يعد صالحاً للإمامة، ويطلب منه أن يخلع نفسه وقد يفعل فلا يترتّب على ذلك مفسدة عظمى ولا صغرى بل بقاؤه مفسدة المفاسد.

2 - وطريقة ثانية في العزل ما يسمى في العصر الحديث بالعصيان المدني، وهو هذه الطريقة تكون على النحو التالي: إذا شعرت الأمة بأنَ هذا الإمام الفاسق مستهتر أو جائر لا يصلح للإمامة وتقدمت إليه بالنصيحة ولكنه أبى واستكبر، فما عليها إلا أن تقاطعه وتقاطع من له به أية علاقة وحينئذٍ يجد نفسه منبوذاً من أمته فإمّا اعتدل وإما اعتزل..... فإذا فعل كل واحد من أفراد الأمة الإسلامية مع هذا الإمام الجائر الفاسق هذا الفعل ووقف منه هذا الموقف فنبذه وقاطعه فإنه ساقط لا محالة.

3 - تحديد مدة معينة للإمامة.

ومن خلال هذا البيان المختصر يتضح بكل جلاء أن إضراب الجبهة الإسلامية للإنقاذ إضراب مشروع والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

ب ـ الإضراب السياسي السلمي الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ كان إضراباً سلمياً شهد بذلك العدو قبل الصديق، والفضل ما شهدت به الأعداء والوثائق والوقائع تدل دلالة قاطعة على سلميته من أول يوم، تلك الدلائل التي يحاول النظام الغاشم الظالم المتسلّط على رقاب الشعب ظلماً وعدواناً طمسها وإبعادها أو تزييفها، ولكن ستكشف الأيام القادمة أو الأعوام القادمة ـ إن شاء الله ـ صِدْق هذه المقولة وصدق الله العظيم إذْ يقول ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَه بَعْدَ حِينٍ ﴾ ص: 88. أما هدفه فهو كشف التزوير الذي قامت به حكومة حمروش وشهد بذلك رئيس الحكومة الحالي غزالي على شاشة التلفزة أمام جماهير الناس.

الفرع الثاني: غَدْرُ النّظام الغاشم بالآمنين ليلاً

لقد تقرر في الشريعة الإسلامية الغرّاء أن إخلاف الوعد ونقض العهد والمواثيق من الكبائر وجريمة من الجرائم التي لا يُقْدم عليها إلاّ منافق أو متّصف بصفة من صفات اليهود ألا وهي نقض العهود، أما المؤمن الصادق مع الخالق والخلق تجده وفيّاً بالعهد الذي قطعه على نفسه، وكيف لا يكون كذلك والله تبارك وتعالى جعل الوفاء بالعهد من علامات البرّ ومن صفة المتّقين ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ البقرة: 177. والوفاء بالعهد من

صفات أهل الفلاح ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهـم راعون ﴾ المؤمنون: ٨ .
بل إن الله تبارك وتعالى أمرنا بالوفاء بالعهد حتى مع المشركين ما داموا على العهد قال مولانا ﴿ إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنّ الله يُحبُّ المتقين ﴾ التوبة: ٤ . ولكن النظام الغاشم لا يعرف مثل هذا الخلق الإسلامي الحميد فهو ينقض عهده في كل مرة ، ولكن هذا لا يستغرب منه فالذي ينقض العهد مع الله الذي خلقه كيف لا ينقضه مع خلقه ؟!!

وآخر مرة هي تلك التي التقينا فيها مع رئيس الحكومة حمروش على التزام عدم اللجوء إلى العنف من الطرفين فنقض عهده ودوهمت الساحات العامة وضرب خيرة الشباب ظلماً وعدواناً بين نائم وآخر راكع وساجد يدعو ربه ويرجو رحمته وبين تالٍ لكتاب الله في جوٍ هاديء مطمئن ، وفجأة حولت هذه الساحات العامة وخاصة (أول ماي) وساحة الشهداء إلى مذبحة رهيبة ومجزرة يعجز الإنسان عن وصفها ، ولكنه الغدر والنذالة والخسّة من أناس تكاد أن تنطبق عليهم الآية القرآنية ﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ التوبة: ٨ .

إنّ ما حدث من قتل وسفك للدماء لا يمكن للقلم تصويره والإحاطة به لفظاعته من طغمة تحكم الشعب الجزائري بسياسة

المكر والدهاء تارة وسياسة القمع والإرهاب تارة أخرى، ليس لهم دين يمنعهم ولا وازع وطني يردعهم همهم البقاء في الحكم ولو على جثث الأبرياء، وما حوادث أكتوبر 88 عنا ببعيد، ولكن ليل الظالمين قصير والويل لهم من يوم يجعل الولدان شيباً.

أيها القاضي قل لي برنك لماذا هذا الغدر ليلاً بالآمنين ودون أن يصدر من واحد منهم عنف ولا إفساد ؟! أليس رسول الله ﷺ هو القائل: «من رمانا بالليل فليس منّا» ؟! أليس هو القائل ﷺ أيضاً: «فإنّي نهيت عن ضرب أهل الصلاة» ؟!. ولكنه مكر الحكومة الناقضة للعهد، وأذهب إلى أبعد من ذلك: من كان وراء تلك الحكومة من طغمة تستحق اللعنة، لأن رسول الله ﷺ يقول: «ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به»، وقال أيضاً في بيان فظاعة قتل المسلمين بغير حق «لزوال الدنيا بأكملها أهون عند الله من قتل عبد مؤمن» ويا له من وعيد شديد ينتظرهم ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾ النساء: 93. لأن قتل نفس واحدة بريئة عظيمة من العظائم تعدل قتل الناس جميعاً ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعاً﴾ المائدة: 32.

أفبعد هذا الغدر الخسيس والمكر الجبان ـ لأنه لا يمكر إلاّ الجبان ـ نصبح نحنُ مجرمين ونُحاكم وينجو أولئك الذين أفسدوا البلاد والعباد

بشهادة جماهير الشعب ومختلف الأحزاب وأهل العلم والدين والثقافة والرأي ؟!! ولكن نحن لا نتعجب من هذا، لأننا في زمان انقلبت فيه المعايير واختلت فيه الموازين وأصبح الدعاة الأخيار أشراراً، ولكن يوم القيامة يظهر من هم الأشرار حقيقة عندها وعند الناس، قال تعالى واصفاً مشهد الكفار وهم في النار ﴿وقالوا ما لَنا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُهُم مِنَ الأشْرَار * أتخذْنَاهُم سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُم الأبْصَار * إنّ ذلك لَحَقٌّ تَخاصُمُ أهْلِ النّار ﴾ص: 62 - 64.

واعلم أن اختلال الموازين وانقلاب الأمور أخبر به رسول الله ﷺ في قوله «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل وما الرويبضة ؟ قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة».

إن ما حدث في ساحة أول ماي وساحة الشهداء ومناطق أخرى من الوطن جريمة ما بعدها جريمة وإذلال للشعب ما بعده إذلال وأسأل الله تعالى العون لأخص هذه النقطة بالتأليف في مستقبل الأيام إن كان في العمر بقية، ولقد تذكرت هنا قول شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا وهو يصف ما فعلته فرنسا أيام حرب التحرير من مجازر ومخازي يندى لها الجبين، وقد تقول أيها القاضي كيف تشبه النظام الجزائري بما فعلته فرنسا وهنا أقول وبكل صراحة أن فرنسا خرجت وخلفت أبناءها وعملائها يحكمون البلاد في الخفاء وبدهاء.

ولقد صرحت لمدير السجن أنني عازم على كتابة بحث إن شاء الله في المقارنة بين ما فعلته فرنسا وما سلكته من سبيل من أجل إذلال الشعب وبين ما فعله النظام الجزائري حذو القذة بالقذة، وذلك أمام ضابط الدرك عندما جاءوا ليُحقّقوا في الرسالة التي خرجت من السجن.

قال مفدي يصوّر الفظائع والتي قلد فيها النظام أمه الحنون:

في الجزائر للتمثيل محكمة
فيها الفظائع سمّوها قوانينا
وفي الجزائر للتقتيل مجزرة
راحت بها المهج الحرى قرابينا
وفي الجزائر نيران مؤججة
تذرو المساكن لم تعفِ المساكينا
وفي الجزائر أرواح مقدسة
هلّت من الملأ الأعلى تناجينا
وفي الجزائر قطّاع قد التهموا
خير الجزائر زقوماً وغسلينا
الشّر بالشّر والأيام تجربة
من سرّه الدهر حيناً ساءه حينا
لاسلم في الأرض ما دامت قضيّتنا
لم تَلْقَ في الأرض بالقسط الموازينا
ثرنا على الظلم لا نلوي على أحد
لا شيء في الكون دون العزّ يرضينا

وليعلم حكام النظام في الجزائر أن عاقبتهم عند الله وخيمة، لأنهم كانوا قساة على رعيتهم وذلك مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام «من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلاّ حرّم الله عليه الجنّة» وقوله أيضاً «ما من أمير عشرة إلاّ يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره» هذا من جهة ومن جهة أخرى أنهم كانوا مهرة (طبعاً في الشر) لتلفيق التهم للأبرياء والله يقول في شأن هؤلاء ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً و إثماً مبيناً﴾ النساء: 112.

نعم كل هذا القتل والتشريد والسفك للدماء والهتك للأعراض من أجل أن تبقى حثالة فاسدة في الحكم ولو رفضها الشعب برمته. لقد تعلمنا من سيرة سلفنا الصالح بحق أن الخلفاء الذين قتلوا داخل المساجد وهم يصلّون لم يتابع واحد منهم أحداً من الرعية إلاّ من قام بالعملية ولم تفتح المحتشدات لعموم الناس ودون تمييز ولم تخرج الجيوش لكسر الرؤوس وإذلال الشعب، غاية ما في الأمر إلقاء القبض على الفرد الذي ارتكب الجريمة ولو أن فرداً من هؤلاء الطغاة سمع ـ بمجرد سماع ـ بأن هناك مؤامرة تدبر له في مسجد أو حيّ لنسف المسجد ودمّر الحيّ عن بكرة أبيه ولفتحت فوهات الرشاشات في صدور الناس جملة وتفصيلاً وضرباً في الرؤوس والصدور كما حدث في أكتوبر 88 وحوادث جوان 91. وإليك الدليل من سيرة العظماء الذين كانوا يعيشون

على الأرض وقلوبهم معلّقة في السماء، الذين أمرنا أن نعضّ على سنتهم بالنواجذ.

1 ـ فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن في المسجد سأل عن الذي طعنه ومن هو ؟!! قالوا عبدٌ مجوسي قال: «الحمد لله الذي لم يجعله مسلماً صلى يوماً واحداً صلاة يخاصمني بها عند الله» وفي رواية أنه لما قيل أنه مجوسي كبر حتى خرج صوته من الباب ولم يقل للجيش أو للشرطة «يا أولاد الكلاب لا بد من إلقاء القبض على الجميع وإذاقتهم صنوف العذاب ليكونوا عِبرة للعالمين». لا لم يقل من هذا الهراء ـ الذي تعود الطغاة عليه ـ حرفاً واحداً. فهل في ديمقراطيات الشّرق والغرب مثل هذا يا قوم ويا أيها القاضي ؟!!.

2 ـ وهذا عثمان بن عفان المبشّر بالجنة عندما حاصروا بيته وأحاطوا به من كل جانب يريدون قتله وهو خليفة المسلمين، جاء إليه جماعة من شجعان الصحابة راجين منه أن يأذن لهم بأن يعملوا السلاح في هذه الشرذمة الخارجة عن الخلافة الشاقة لعصا الطاعة، وألحوا عليه في ذلك، فماذا كان أيها القاضي ؟!! هل أمر كما أمر الشاذلي في أكتوبر وجوان قائلاً أبيدوا خضراءهم حتى لا يسمع لهم صوت ؟!!! لا بل وقف وهو الشيخ الوقور الذي تستحي منه الملائكة في السماء بهدوء قائلاً: «أعزم على من يرى لنا سمعاً وطاعة بما كفّ

يده وسلاحه فإن أفضلكم عندنا غداً من كف يده وسلاحه» وكلنا يعلم أن الذين كانوا معه في الدار أكثر من 700، لو أذن لهم لضربوهم حتى يخرجوا من أقطارها، بل عندما حُصِر وهو من هو كان يقول «أن تكُنْ عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل فإنه أعظم لحجّتك عند الله يوم القيامة» ورغم ذلك خلص إليه الأوباش وقتلوه شر قتلة وهو يقرأ القرآن الكريم، فأين هؤلاء الشرذمة الفاسدة من هذه القمم السامقة الذاهبة في جوّ السماء صلاحاً وتقوى وإيماناً ؟!! بل أين مثل هذا المثال في تاريخ البشرية كلها وأين هذا في تاريخ الديمقراطية التي يتشدق بها الكثير ؟!! ولكنه الإسلام الذي جعل من رعاة الغنم قادة الأمم.

3 ـ ومن منا لا يعرف الإمام علي كرّم الله وجهه في الجنة، الذي نعتز بعلمه وفضله وشجاعته عندما طعن وهو يصلّي وأمسك المسلمون بطاعنه وأرادوا به سوءاً بل أرادوا الفتك به جزاء ما فعل بخليفة المسلمين الذي دوّخ الدنيا بشجاعته وسعة علمه. قال لهم هذا الإمام الذي علمه الإسلام قبل أن تظهر حقوق الإنسان في الدنيا كيف يعامل الأسير الذي طعنه بيده «أطعموه واسقوه وأحسنوا أساره فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت»، فهل لمثل هذه المعاملة شبيهاً في دنيا الناس اليوم ؟!! ولم نسمع أنه أمر بحرقه أو خنقه أو تعذيبه أو تجويعه أو إدخال عائلته معه إلى السجن كما حدث في بلادنا في قضية البطل المجاهد الشجاع مصطفى

بويعلي رحمه اللّه تعالى وسائر إخوانه، ولم يأمر بتحرير مرسوم حصار يديره الأوباش المهازيل في الخفاء يذهب ضحيته مئات الضحـــايا من الرجـــال والنســـاء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. نعم يديرون الحصـــار وهم في بيوتهم وبالهاتف كذوات الخفر من النساء أو ذوات الخُدور تاركين الشعب والجيش وهو جزء من الشعب يموج بعضهم في بعض وهم في راحة وهناء!!! فهل سمعت بمثل هذه الصـــور في تاريخ الأمم والشعوب؟ هل سمعت بهذا في نظام الديمقراطيات العرجاء؟ بل هل سمعت بهذا في حقوق الإنســـان؟ ولا أريد الإطالة، فما قلته في هذا الفـرع يكفي ويُغني واللّه المستعان.

خلاصة هذه النقطة:

لا شك أنّ مشروعية الاضراب من الناحية الشرعية لا غبار عليها، وأنه إضراب سلمي لا نقاش فيه، ويهدف إلى غاية نبيلة شريفة ألا وهي رفع الظلم والتزوير، وإنما الذي عكّر صفوه وقلبه إلى مأتم كبير هو غدر الحكومة الحمروشية في الظاهر وتآمر الطغمة العسكرية في الباطن، أو ما أسميته أنا بالحكومة الخفية التي تحـرك السياسة الداخلية والخارجية من وراء الستار بمكر وخسّة كالخفافيش التي تكره النور والضياء ويحلو لها الظلام الدامس.

والسؤال المطروح على ضميركم هو: لماذا عجزتم عن إحضار حمروش والحمدي للتحقيق معهما في حوادث جوان 91 ؟!!.

ولماذا عدم القيام بإحضار بلخادم ومهدي للإدلاء بالشهادة في القضية ؟! والله يقول ﴿ومن يَكتُمها فإنه آثمٌ قلبه﴾ البقرة: 283. وليُعرف من هو الظالم من المظلوم، ولماذا عدم إحضار غزالي الذي أخذ عهداً على نفسه أن لا يطرد العمال وأن يعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية وأنه غير مستعد لتسيير شؤون الحكومة في ظل حالة الحصار ولا أن تسيل قطرة دم في عهده. فكيف إذن اندلعت المشادات من جديد في باب الواد وبلكور والقبة وباش جراح والأخضرية وولايات أخرى من القطر بعد هدوء تام من يوم الإعلان عن توقيف الإضراب، وبلغ الهدوء ذورته أثناء عيد الأضحى إذ تآخى الشعب حتى مع الجنود والشرطة. فكيف خرق الاتفاق المعلن عليه من جديد ؟!!.

واعلم أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون﴾ المائدة: 8.

ثالثاً

الابتلاء والصراع مع أهل الباطل

ضربة لازبٍ إلى قيام الساعة

من البديهيات التي تعلمناها من ديننا الحنيف أن الصراع بين الحق والباطل لا ينقطع إلى قيام الساعة، والمنتصر في هذا الصراع من كان من جنود الرحمن لا من جنود الشيطان، لأن الله تعالى يقول ﴿ وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ الصافات: 173 . والغلبة مثل النصر لها صور عديدة فقد تكون غلبة بالحجة والبيان، وقد تكون غلبة بالسيف والسنان. يقول الحق تبارك وتعالى وهو يبيّن أن الصراع لا مفر منه بين الحق والباطل ﴿ وكذلِك جَعَلْنَا لِكُل نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنسِ والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ولَو شاءَ رَبُّك مَا فَعَلُوه فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: 112 . وقال عزَّ من قائل ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَروا لِرُسُلِهِم لَنُخْرِجَنَّكُم مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنَا فأَوْحَى إِلَيْهِم رَبُّهم لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ إبراهيم: 13 . وقال أيضاً تبارك وتعالى ﴿ وكَذَلِك جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمِينَ وَكَفَى بربِّكَ هَادِياً وَنَصِيرَاً ﴾ الفرقان: 31 .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأنبياء وهم صفوة البشرية فلا مفر من سنّة الابتلاء والامتحان ليتميّز الخبيث من الطيب، وحتى لا تبقى كلمة الإسلام مجرد كلمة تقال أو شعارٌ يرفع دون أن ندفع ضريبتها من أنفسنا وأموالنا وأهلينا، والقرآن الكريم حافل بالنصوص التي توضح أن الابتلاء سنّة الله في الدعوات إلى قيام الساعة، قال تعالى:

﴿ إنّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاه سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ الإنسان: 2.

﴿ الـم * أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنّ الله الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الْكَاذِبِينَ ﴾ العنكبوت: 1-3.

والجنة لا تنال إلاّ من طريق الصبر على الابتلاء والتمحيص لا بمجرد الأماني والحسبان الكاذب

﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَسّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ والّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله ألاَ إِنّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ ﴾ البقرة: 214.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلوا الجنّةَ ولَمّا يَعْلَمِ الله الّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم ويَعْلَمَ الصّابِرِينَ ﴾ آل عمران: 142.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُم وَأَنفُسِكُم وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِك مِنْ عَزمِ الأُمورِ﴾ آل عمران: 186 .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ والثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: 155 .

والنصوص في هذا المعنى أشهر من أن تُذكر وأكثر من تُحصر، ولذلك نحن لا نستغرب مثل تلك التهم التي نسبت إلينا بالجملة، وهي في الظاهر من النيابة العامة وباطناً من الحكومة الخفية في هذه البلاد، ولكن لنا أُسوة حسنة في القرآن الكريم والذي يقرأ كلاً من سورة الأعراف وهود وطه والشعراء والقصص وغافر إلخ... يدرك أن أغلب الأنبياء وجهت لهم تهم باطلة داحضة لا تدل إلأ على سفاهة وحقارة من اتهمهم بها ليبرر قتلهم أو سجنهم أو إخراجهم من الأرض، فهذا يتهم بالسفاهة، وآخر يريد أن يتفضل على الناس، وثالث يريد أن يفسد دين الآباء والأجداد، ورابع يتهم أنه يريد أن يظهر في الأرض الفساد، وخامس يتهم بالسعي لقلب نظام الحكم لتكون له الكبرياء في الأرض. وهكذا إلى آخر القائمة الباطلة من تلك التهم التي ألصقت بالمصطفين الأخيار، ولذلك كان المولى تبارك وتعالى يقص على النبي ﷺ قصص الرسل الكرام تسلية له وتثبيتاً لقلبه وهو يصارع الطواغيت من كفار قريش الذين وقفوا

لدعوته بالمرصاد. ﴿وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: 120.

أما الأحاديث النبوية الصحيحة التي تنص على أن الابتلاء ضربة لازب فهي كثيرة جداً وخاصة في فضل الصبر على الابتلاء عند الله تبارك وتعالى. وإليك هذه الطائفة من الأحاديث في هذا الشأن:

1 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «سئل النبي ﷺ أيّ الناس أشدّ بلاءً قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خُفّف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما له خطيئة».

2 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «إنّا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر، إن كان النبي من الأنبياء يبتلى بالقمل حتى يقتله، وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباء فيحويها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء».

3 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «ليَودّن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء».

4 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

5 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال والله يارسول الله إني لأحبُك، فقال له رسول الله: إن البلايا أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه».

6 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها».

7 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الصالحين يشدد عليهم وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلاّ حُطّت بها عنه خطيئة ورفع بها درجة».

وللّه درّ العلامة القرطبي في تفسيره عندما يقول ج 1/ص 342:

فإن قيل كيف جاز أن يخلي بين الكافرين وقتل الأنبياء؟ قيل ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم. قال ابن عباس والحسن: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلاّ من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بقتال نصر، ثم مَنْ مِنَ الدعاة على الحقيقة لا ـ على المجاز ـ يجهل أن الطريق صعب وشاق؟.

ألم يقل خاتم الرسل عليه السلام «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إنّ سلعة الله غالية ألا إنّ سلعة الله الجنة»؟. فإذا كان الطريق صعباً في بداية انطلاق الدعوة والرسول مع الصحابة والقرآن

ينزل غضّاً طرياً والمعجزات يرونها رأي العين ، فما بالك بآخر الزمان ؟ لا شك أن النبي عليه الصلاة والسلام يجيب قائلاً وموضحاً مدى الفضل الذي يتحصل عليه هؤلاء القوم في آخر الزمان «إنّ من ورائكم أيام الصبر فيهن مثلُ القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» وما ذلك الأجر إلا لأنه قال في حديث آخر «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» . هذا وقد تقرر في شرعنا أن الأجر على قدر المشقة

ولا شك أيضاً أن هناك عدواً داخلياً يجعل الطريق صعبة ، ألا وهو الشيطان الرجيم الذي قال كما حكى القرآن الكريم عنه ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأقعُدَنَّ لهم صِرَاطَك المستقيم * ثم لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهم وَمِنْ خلفِهِمْ وعَنْ أَيْمانِهِم وعَنْ شَمائِلِهِم ولا تَجِدُ أكثَرَهُم شَاكِرِين ﴾ الأعراف: ١٦-١٧ .

وخير تفسير لهذه الآية حديث الرسول ﷺ إذ يقول «إن الشيطان قد قعد لابن آدم بأطرقه :

1 ـ فقعد له بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ؟ فعصاه فأسلم .

2 ـ ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتترك أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَل فعصاه فهاجر .

3 ـ ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد.

ولما كانت الطريق إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق أصعب الطرق لما فيها من المشقة البالغة التي تصل إلى تلف الأنفس في سبيل الله، كان الأجر لمن سلكها عظيماً حتى قال عليه الصلاة والسلام «رباط يوم في سبيل الله أفضل من قيام رجل وصيامه في أهله شهراً» بل قال أيضاً «لقيام رجل في سبيل الله (ساعة) أفضل من عبادة ستين عاماً»، ولله درّ شيخ الإسلام ابن تيمية الذي مات سجيناً وهو علاّمة زمانه وفريد دهره بلا منازع عندما وجّه إليه سؤال هذا نصه:

«سئل عن حديث حرس ليلة على ساحل البحر أفضل من عمل رجل في أهله ألف سنة وعن سكنى مكة والبيت المقدس والمدينة المنوّرة على نيّة العبادة والانقطاع إلى الله والسكنى بدمياط واسكندرية وطرابلس على نية الرباط أيّهم أفضل؟. أجاب جواب العارف بدينه قائلاً:

«الحمد لله بل المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وما أعلم نزاعاً بين أهل العلم، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج. كما قال تعالى:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة: ١٩. ثم ساق الأحاديث في ذلك ومنها قول أبي هريرة «لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود».

وساق في موطن آخر مبيّناً أن أهل العلم كانوا إذا اختلفوا في شيء سألوا أهل الثغور. قال في مجموع الفتاوى ج 28 ص 442 «قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم لأن الله يقول ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وإِنَّ اللَّه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩. وإذا علمت أيها القاضي أن الصراع مع الباطل وسنّة الابتلاء من صميم ديننا وعقيدتنا أدركت أن هناك أمرين اثنين لا يخاف منهما الدعاة المخلصون الربانيون:

١ - عدم الحرص على متاع الحياة الدنيا:

كان مالك بن دينار يقول: «اللّهم إنّك تعلم أنّي لم أكُنْ أُحب البقاء لبطن ولا لفرج» ذلك لأن الحرص إلى حب الدنيا أصل الخوف والجبن والخطايا، ومن هذا نجد أن القرآن يزهدنا في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

الكُفّارَ نَباتُه...﴾ الحديد: 20. ﴿المالُ وَالبَنونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُنيَا وَالبَاقِيَاتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عندَ رِبِكَ ثَواباً وخَيْرٌ أمَلاً﴾ الكهف: 46.
بل ما أقعد الناس عن الجهر بكلمة الحق والجهاد إلا الإخلاد إلى الأرض وحب الدنيا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُنيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيل﴾ التوبة: 38.

والآيات في ذم الدنيا الملهية عن ذكر الله والجهاد في سبيله كثيرة، ومن الأحاديث في التزهيد فيها قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله جعل الدنيا كلها قليل وما بقي منها إلاّ القليل من القليل ومثل ما بقي من الدنيا كالثغب - يعني الغدير - شرب صفوه وبقي كدره». بل إنّ الرسول الأكرم جعل من شرار الناس من يكون همه الدنيا وما فيها من نعيم يطغيه وينسيه من واجبه في الصدع بالحق فقال: «إنّ من شِرار أمتي الذين غذُوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب يتشدّقون بالكلام»، وقال أيضاً مميزاً بين طالب الدنيا وطالب الآخرة «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلاّ ما قدّر له». فشتّان بين طالب الآخرة وطالب الدنيا الذي لا يدرك معنى قوله عليه الصلاة والسلام «لو أنّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت».

2 ـ عدم الخوف من أن تضرب رقابهم في ذات الله تعالى :

لقد سبق وأن قلت أن الدعاة كانوا يقومون بواجب البلاغ وفق شرع الله، ثم لا عليهم بعد ذلك من أن يسجنوا أو يقتلوا، والذي جعلهم يستهينون بالموت في سبيل الله تعالى علمهم أن الآجال كالأرزاق هي بيد الله تعالى، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان أجلاً ولايؤخّران رزقاً. فلما صحّت عقيدتهم صحّت دعوتهم، وكيف لا يكونون كذلك وهم يتلون قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَموتَ إلاَّ بِإِذْنِ اللّه كِتَابَاً مُؤَجّلاً ...﴾ آل عمران: 145. ولذلك لما استبان الحق لسَحرة فرعون آمنوا بموسى إيماناً راسخاً جعلهم يفضلون الموت على العَودة إلى الكفر والشِرك بالله وعلموا من خلال رؤية المعجزة ان هذا ليس من شأن السحرة وهم أهل الصنعة والتبريز فيها، وإنما هو معجزة من الله تبارك وتعالى، واسمع إلى هذه الآيات فهي خير موضِح لحقيقة الإيمان إذا تغلغل في القلب:

﴿قالوا آمَنّا بِربِّ هارونَ ومُوسَى * قالَ آمَنْتُم لَهُ قَبْل أنْ آذَنَ لَكُم إنَّه لَكَبِيركُم الَّذِي عَلَّمَكُم السِّحْر فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكم وأرجُلكم مِن خِلاف وَلأُصَلِّبَنَّكُم في جُذُوعِ النَّخل وَلَتَعْلَمُنَّ أيُّنَا أشَدُّ عَذَابَاً وأبْقَى﴾ طه: 70-71.

وأنْظر الآن إلى جوابهم الصريح الفصيح الذي ينبع من قلب موقن يصدعون به في وجه الطاغية فرعون دون خوف أو وجل:

﴿قَالُوا لَن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ طه: 72. وفي آية أخرى قالوا: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الشعراء: 50.

وخير من ضرب الأمثلة الصادقة في الاستهانة بالموت في سبيل العقائد والمبادىء هم جيل الصحابة، وكيف لا يكونون كذلك والرسول ﷺ هو أشجع الناس وبطل المعامع الذي قال فيه عليّ بن أبي طالب: كان إذا حمي الوطيس احتمينا بظهر رسول الله ﷺ. أليس هو القائل «نعم الميتة أن يموت الرجل دون حقه»، وقال: «ما من نفس تموت فتدخل الجنة فتود أنها رجعت إليكم ولها الدنيا وما فيها إلاّ الشهيد فإنّه ودّ أنّه قتل كذا وكذا مرة لما رأى من الثواب»، وقال أيضاً: «ما خالط قلب امرئ مسلم وهجٌ في سبيل الله إلاّ حرّم الله عليه النّار».

وانظر إلى هذا الحديث ما أروعه وأحرضه على الجنة وإن كنّا ضعفاء وما أشدّه على المستكبرين الذين تصحبُهم قوتهم فيقهرون غيرهم «ألاَ أُخْبِرُكم بأهل الجنّة؟ كلُّ ضعيف مُتَضَعَّف، لو أقسم على الله لأبرّه. ألاَ أُخْبركم بأهل النّار؟ كلُّ عُتُلّ جواظ مستكبر». وقال أيضاً: «قتل الصبر لا يمر بذنب إلاّ محاه». إن مثل هذه الأحاديث الصحيحة مضافة إلى قصص الأنبياء والصالحين الواردة في القرآن جعلت جيل الصحابة جيلاً فريداً في الفداء والتضحية في

سبيل الحق الذي آمنوا به. وإليك بعض النماذج لذلك في غير جيلهم أيضا:

1 ـ فهذا إبراهيم بن يزيد الإمام القدوة الفقيه العابد كان شاباً صالحاً وعالماً فقيهاً قال عن نفسه: ما أكلت منذ أربعين ليلة إلاّ حبّة عنب وكان إذا سجد تضع العصافير على ظهره، صدع بالحق زمن الحجّاج الطاغية فقتله وله من العمر 40 سنة وهو القائل رغم شجاعته: «إن الرجل ليظلمني فأرحمه».

2 ـ وهذا ربيع القطان كان من الفقهاء المعدودين والعبّاد المجتهدين عالماً بالقرآن وتفسيره ومعانيه، وحافظاً للحديث مدركاً لمعانيه وعلله ورجاله وغريبه، معتنياً بالمسائل والفقه، كانت له بجامع القيروان حلقة عظيمة. وصفه العلاّمة بن شبلون بالتقى والتفقّه وجودة الذهن والفقه الجيد ومعرفة اللغة ونحوها. كان لسان أفريقيا في زمانه في الزهد والرقائق، عالماً باختلاف الفقهاء. انصرف بعد الحج إلى العلم الباطن والنّسك والعبادة، ونفع اللّه به خلقاً كثيراً، بارع في الحديث عن الأحوال والمقامات. وعندما ظهرت دولة بني عبيد أخذ على نفسه عهداً أن لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع اللّه تلك الدولة، وخرج عن عزلته وانقباضه، وكان كثيراً ما يقول "ليُرَادَنّ بهذا الرأس". قال أبو علي بن الكاتب العابد: ما رأيت ربيعاً قط إلاّ ورأيت دم الشهادة يلوح على وجهه. وكانت رغبة بني

عبيد ورجالهم أخذ الربيع حيّاً ليشفوا منه نفوسهم، فلما لقوه في القتال أقبل وهو يطعن فيهم ويضرب وهم يتوقفون عنه رجاء أخذه. فلما أثخنهم بالضرب حملوا عليه فقتلوه وأخذوا رأسه ومضوا به إلى إمامهم فطيف برأسه، وما ولّى دابراً حتى قتل رحمه الله تعالى شهيداً. قال أبو محمد بن تبّان رأيت ربيعاً القطان بعد أن قتل - أي في المنام - فسألته عن حاله فقال لي تارة: يزخرف لنا الجنان، وتارة يشرف علينا الحور، وتارة يصطك لنا الحجب. فقلت له: من أعلى درجة أنت أم الممسى ؟! قال جمعنا في حديق واحد.

3 - وهذا أبو بكر محمد بن علي النابلسي. أمر الطاغية جوهر بسلخه وهو فقيه أهل الرملة من العلماء الزاهدين، أفتى بكفر بني عبيد. وقال لأبي يزيد الخارجي أنت من أهل القبلة (على بدعته) نقاتل بك من كفر بالله ورسوله فطرح على وجهه بالأرض وجلس على صدره ووركيه ومسك به جيداً وشق السلاّخون عُرقوبيه ونفخ كما تنفخ الشاة، ثم سلخ وهو في كل هذا يقرأ القرآن بصوت قوي وترتيل حسن إلى أن انتهى السلخ إلى كتفيه فتغاشى ثم مات شهيداً ثم صُلب ثم جُلد مصلوباً رحمه الله تبارك وتعالى.

هذه ثلاثة نماذج وهي قطرة من بحر وغيض من فيض من سيرة الدعاة والعلماء الذين استهانوا بالموت في سبيل عقائدهم. اللهم نسألك الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، آمين.

خلاصة هذه النقطة:

أيها القاضي يمكن تلخيص هذه النقطة في قولنا: إن الابتلاء سنة من سنن الدعوات، وما دامت الطريقة المسلوكة إلى نصرة الحق شرعية، وأن المؤمن الحق والداعية الحقيقي ينبغي أن يضحي في سبيل دينه بكل غال ورخيص ونفس ونفيس، وأن يعلم أن الأعمار والأرزاق بيد الله، وأنه لا يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا، ولا نملك إلا أن نقول للطواغيت الذين خطفونا في وضح النهار شاهرين أسلحتهم في وجوهنا ما حكاه الله عن الصالحين الصابرين ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّل الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إبراهيم: 12، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران: 173.

رابعاً

بيان خطورة منصب القضاء

وبيان حكم الحكم بغير ما أنزل الله

وهذه النقطة سأحاول أن أُعالج فيها الأمور التالية قياماً بواجب النصح والبيان سائلاً الله تبارك أن يشرح صدرك للحق أيُّها القاضي بعد وضوحه.

1 ـ خطورة منصب القضاء:

منصب القضاء في الشريعة الإسلامية منصب خطير، هرب منه نطاحل العلماء، وآثروا السجن والنفي والقتل على أن يتولُّونه وهم في خلافة إسلامية حقه فضلاً على أن يتولونه في حكومات عطلت الشريعة واستبدلت بها زبالة عقول البشرية من يهود ونصارى وملاحدة. فهذا الإمام الحجّة "أبو حنيفة" آثر السجن على أن يتولّى منصب القضاء، وأمثاله لا يقع عليهم حصر ولا عدّ، ولذلك جاء في بعض الآثار «من جُعل للناس قاضياً فقد ذبح بغير سكين» أما في زماننا هذا، وخاصة في الدول التي تزعم أنها إسلامية يتولّى فيها القضاء من لا يصلح أن يكون فيه أصلاً لعدم توفّر شروط

القضاء الشرعي، لأن القاضي في الإسلام تشترط فيه شروط واجبة لا يجوز الاخلال بها تطرق إلى بيانها العلماء قديماً وحديثاً، ولست الآن بصدد بيان تلك الشروط حتى يصح أن يقال فلان قاضي!!! ويمكنك أيّها القاضي أن تراجع كتاب بسيط وهو كتاب فقه السنّة لسيد سابق - باب القضاء - أو كتاب الفقه الإسلامي وأدلته لوهبه الزحيلي، فإنَّك ستدرك فوراً أنه لا يجوز لك شرعاً أن تكون قاضياً من الوجهة الشرعية، والكتابان موجودان عندكم في مكتبة السجن فراجعهما واعلم أن النبي ﷺ قال:

«القضاة ثلاثة: قاض في الجنة، وقاضيان في النار:

1 - قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة،

2 - وقاضٍ عرف الحق فجار متعمِداً فهو في النّار،

3 - وقاضٍ قضى بغير علم فهو في النار.»

واعلم أيضاً أن العلماء أجمعوا على أن المقصود بالحق والعلم في الحديث هو ما جاء في الكتاب والسنّة، لا ما في القوانين الوضعية. فَتَنَبَّه!.

ومثل هذا الحديث جعل الكثير من أهل العلم يتخوّفون من هذا المنصب رغم أن الحكم سيكون بالكتاب والسنّة. فهذا العلاّمة مكحول الدمشقي يقول: «لو خيّرت بين القضاء وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء». وهذا الإمام المحدِث الزهري يقول «ثلاث إذا كنّ

في القاضي فليس بقاضٍ: إذا كره الملام، وأحب المحامد وكره العزل»
وبلغ الحد بالإمام الفضيل بن عيّاض أن يقول «ينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء، ويوماً في البكاء على نفسه». وهذا أحد رجالات السلف الصالح يقول: «ليأتينّ على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنّى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط». هذا الخوف كله والحكم وقتها كان بما أنزل الله وفق الشريعة الإسلامية السمحاء فكيف لو كانوا في زماننا وعاينوا هذه الأحكام الوضعية التي ضربت بنصوص الشّرع عرض الحائط واستبدلت بها قانون نابليون وزبالة عقول البشر ؟!!! وفي هذا القدر كفاية واللبيب بالإشارة يفهم.

2 ـ بيان حكم الحكم بغير ما أنزل الله تعالى:

النصوص الشرعية على وجوب الحكم بما أنزل الله كثيرة جداً في كتاب الله الخالد. وإليك بعض هذه النصوص على عجل، ومن خلالها تدرك مدى خطورة الحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى، بل تدرك مدى الجريمة الكبرى التي يرتكبها أولئك الذين يعرضون عن شريعة الله إلى أهواء البشر ويسمون أنفسهم قضاة ؟!!.

1 ـ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله ولاَ تَتَّبِع أَهْوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ...﴾ المائدة: 48.

2 ـ ﴿وأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِما أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِع أَهْوَاءَهُم واحْذَرهم أَن يَفْتِنُوك عَن بَعْض مَا أَنْزَلَ الله إِلَيْك...﴾ المائدة: 49.

3 ـ ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: 50 .

4 ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ النساء: 105 .

5 ـ ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الحَقَّ وهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ الأنعام: 57 .

6 ـ ﴿أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ الأنعام: 62 .

7 ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرسولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تأْوِيلاً﴾ النساء: 59 .

8 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ النساء: 60 .

9 ـ ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ النساء: 61 .

10ـ ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65 .

11 ـ ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ المائدة: 44 .

12 ـ ﴿ وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّه فَأُولئك هُمُ الظَّالِمُون ﴾ المائدة: 45 .

13 ـ ﴿ وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّه فَأُولئك هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ المائدة: 47 .

فهذه نبذة من الآيات التي تلزم الحاكم والقاضي وجميع الناس بالحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى شرعه . فإن خالفوا ذلك فقد ارتكبوا جرماً عظيماً وفضلوا حكم الطاغوت وشريعة الأهواء على هدي السماء ، ولذلك نص العلماء على أن الحكم بما أنزل الله أمرٌ لا مفر منه لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا بأس أن أنقل إليكم بعض ما قاله أهل العلم المشهود لهم بالإمامة ورسوخ القدم في العلم الشرعي في مسألة تحريم الحكم بغير ما أنزل الله وصور ذلك باختصار .

1 ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّه فَأُولَئِك هُم الكَافِرُون ﴾ : « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فإنه ما من أمّة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير منهم من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف البادية ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفّار » .

2 ـ قال الحافظ العلاّمة صاحب التفسير الشهير ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ المائدة: 50 «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بل مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يعضدونها بآرائهم وأهوائهم. وكما يحكم به أهل التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق)، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتّى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرّد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير».

3 ـ وقد علّق فضيلة العلامة أحمد شاكر على كلام ابن كثير قائلاً «أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ بن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي الذي وضعه عدو الاسلام جنكزخان؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر؟ إلاّ في فرق واحد أشرنا إليه آنفاً، أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمن سريعاً، فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت،

ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً، وأشد ظلماً وظلاماً منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه شيء بذاك (الياسق) الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، هذه القوانين التي يصنعها ناسٌ ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها ابناء المسلمين ويفتخرون بذلك آباءً وأبناءً، ثم يجعلون مرد أمرهم الى معتنقي هذا (الياسق العصري) ويحقرون من يخالفهم في ذلك، ويسمون من يدعوهم الى الاستمساك بدينهم وشريعتهم (رجعيا) و (جامداً) الى مثل ذلك من الالفاظ البذيئة»، الى أن يقول «إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس: هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائناً من كان - في العمل بها أو الخضوع لها، فليحذر امرؤ لنفسه وكل امرئ حسيب نفسه».

والآن أيها القاضي يبقى علينا أن نطرح سؤالين هامين

س 1: ما حكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ؟!!

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه «الفاصل بين الايمان والكفر» - ص 46 - مجيباً على هذا السؤال الخطير قائلاً:

وهناك سؤال معروف: هل يعد كافراً من حكم في قضية ما بحكم غير حكم الله تبارك وتعالى ؟

والجواب على ذلك أن هناك صوراً ثلاثا لهذا الأمر :

1 ـ أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن ما حكم به هو الأفضل وهذا كفر باجماع المسلمين ولا مخالف لذلك.

2 ـ أن يحكم بغير ما أنزل اللّه معتقداً أن ما حكم به متساوٍ مع حكم اللّه وأن هذا مثل هذا وهذا أيضا كفرٌ بالإجماع لأنه يساوي اللّه بخلقه كما قال تعالى : ﴿ ثُم الذين كفروا بِربِهم يعْدِلون ﴾ الأنعام: 6

3 ـ أن يعتقد أن حكم اللّه هو الخير وهو الحق، وكل حكم يخالفه مرجوح باطل ولكنه يحكم به بدافع من شهوة، أو رشوة أو منصب أو غير ذلك، وهذا الذي قال فيه ابن عباس كفر دون كفر أي كفر لا يخرجه من ملة الاسلام ومن جماعة المسلمين. ولهذا يكون الحكم واضحاً في شأن الذين يجعلون شريعة اللّه على قدر المساواة مع شريعة انفسهم، أو من يتبعونهم من الكفار وفي شأن الذين يصفون حكم اللّه بالرجعية والجمود والتخلف عن مسايرة الزمن» اهـ.

ولهذ يقول الإمام العلامة الطحاوي في العقيدة الطحاوية ـ ص 363 ـ «وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن أعتقد أن الحكم بما أنزل اللّه غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم اللّه فهذا كفر أكبر.»

س 2 ـ ما حكم تولي القضـاء في ظل نظـام لا يحكـم بشـرع الله ؟

الحقيقة أن الجواب واضح من خلال ما تقدم ولكني أكتفي بما قاله الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير ج 4 ص 171.

«أويجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به ويعرض عن شريعته البينة ؟ ما أظن أن رجلاً مسلماً يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال ـ ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول بأن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة ؟».

* ملاحظات ذات بال رافعة للبس :

واجب قبل أن أختم هذه النقطة أن أوضِح ملاحظات هامة رفعاً لكل التباس :

أولاً : لقد تعلمنا من علمائنا الاحتياط في تكفير الأعيان ولكن إذا ما تمت الشروط وانتضعت الموانع، فإننا لا نتردد في نسبة الكفر إلى من قامت عليه الحجة الرسالية. قال شارح الطحاوية :

«إنّ الأقوال المبتدعة المحرفة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويُثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها الكفر ويقال من قالها فهو كافر ونحو ذلك. وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلاّ بأمر تجوز معه الشهادة فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن اللّه لا يغفر له ولا يرحمه، بل ويخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة اللّه كما غفر للذي قال: «إذا متُّ فاسحقوني ثم اذروني»، ثم غفر له لخشيته، ولكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه، فإن تاب وإلاّ قتلناه ثم إذا كان القول في نفسه كفراً قيل أنه كفر والقائل له يكفر له بشروط وانتفاء موانع...» أنظر الطحاوية ص 357.

ثانياً: إعلم أيها القاضي أنه لا يكفر من سنّ قانوناً ينظِّم فيه السير مثلاً أو نحوه ما لم يتعرّض له الشارع بالذكر وقانوناً يتعلق بالمسائل الدنيوية الصرفة التي تدخل في قوله عليه السلام «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» أما من سنّ قانوناً يخالف الكتاب والسنّة والإجماع، ويصدم مقاصد الشريعة الإسلامية فلا شك في خروجه

عن الإسلام لأن الله يقول: ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُــم مِنَ الدِينِ مَا لَــم يَأذَن بِهِ اللّه...﴾ الشورى: 21 ، وقوله تعالى: ﴿ثُم جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فَاتَّبِعْهَـــا وَلاَ تَتَّبِــع أهْــوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُــونَ﴾ الجاثية: 18 .

ثالثاً: لقد كنت أنوي أن أتحدث عن الضمانات التي أعطاها الإسلام في القضاء للمتهم وأبيّن أنه أرقى نظام في العالم من هذه الزاوية بما لا تصل الشرائع الأرضية وفي مقدمتها الأنظمة الديمقراطية إلى عشر معشاره، ولكن آثرت أن يكون ذلك مشافهة ويكفي أن أُسَجِّل قول عمر بن الخطاب القائل «لا يؤسر أحد في الإسلام بشهداء السوء فإنَّا لا نقبل إلاَّ العدول» .

خلاصة هذه النقطة:

لقد وضح من خلال البيان السابق أن منصب القضاء لا يجوز أن يتولاّه إلاّ من استجمع شروطاً حدّها الشارع الحكيم وفصّلها العلماء الكبار، وإن الذي يتولى القضاء وهو لم يجمع تلك الشروط، فالأحكام التي يصدرها على الخلق باطلة بطلاناً لا خفاء فيه وأن الحكم بغير ما أنزل الله كفر بواح كما أن الذي يتولى منصب القضاء في دولة تحكم بغير ما أنزل الله مرتكب لجريمة كبرى تصل بصاحبها إلى الكفر والعياذ بالله، وإن ما يتقاضاه من

مال فهو سحت بل إنه يطعم نفسه وأهله وأولاده من الحرام، لأن الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: 51.

خامساً

النصح بالاستقالة من القضية والمنصب

مَنْ مِنَ المسلمين لا يعرف أن الدين النصيحة وأن الصحابة بايعوا النبي ﷺ على النصح لكل مسلم، ولذلك فأنا أجد نفسي مضطراً لتقديم النصح إليكم أيها القاضي ولا عليّ بعد ذلك أَقُبِلَتْ النصيحة أم رُفِضتْ وما أجمل قولة الفاروق العادل عمر بن الخطاب عندما قال «لا خير في قوم لا يتناصحون ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة» فالذي أنصحك به من أعماق نفسي أن تقدم الاستقالة من هذه القضية التي أحيلت عليك وأنت لا تملك من أمر التحقيق شيئاً. والأدلة على هذا كثيرة، منها أنك لم تستطع أن تطلق سراح الداعية محمد السعيد وأنت تدرك أنه لا يحق لك إيداعه الحبس الاحتياطي فضلاً عنّا نحن، ولا أنصحك بالاستقالة فحسب، وإنما بترك منصب القضاء لما سبق بيانه في النقطة الرابعة. وإليك أيها القاضي الأسباب التي دعتني بنصحك بالاستقالة:

1 ـ لقد نهى الله تبارك وتعالى أن يكون المسلم معيناً ومسانداً للمجرمين سواءً كانوا أفراداً أو نظاماً يحكم بغير شرع الله عز وجل، ولذلك قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاوَنُوا على الإثِم والعُدوَان﴾ المائدة: 2، وقال أيضاً ﴿فلا تكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ القصص: 86. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن التحقيق في هذه القضية وتولّي هذا المنصب وسط نظام أفلس البلاد والعباد وعاث في الأرض فساداً يعتبر في حد ذاته جدالاً بالباطل عن الظالمين والله عز وجل يقول: ﴿وَلاَ تُجَادِل عَن الّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهم إِنّ الله لاَ يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوّاناً أثِيمَاً﴾ النساء: 107. وإذا كنت بهذا العمل تجادل عنهم في الحياة الدنيا، فكيف الأمر بيوم القيامة؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿هَا أَنْتُم هَؤلاَءِ جَادَلْتُم عَنهُم فِي الحَيَاة الدُّنيَا فَمَنْ يُجَادِلُ الله عَنهُم يَوْم القِيَامَة أم مَنْ يكُونُ عَلَيهِم وَكِيلاً﴾ النساء: 109.

وأزيدك وضوحاً وبياناً أيها القاضي لتعلم أنما أُريد لك الخير في الدنيا والآخرة أن هذا النظام الغاشم أو قُل هذه الحكومة الخفية شبيهة بالشيطان الذي يأمر الإنسان بالمعاصي وعندما يقدم الانسان عليها تتبرّأ منه وتنفر منه وتتركه يواجه مصيره المحتوم الكالح لوحده. واسمع إلى ربّ الأرض والسماء وهو يقرر هذه الحقيقة فيقول: ﴿كَمَثَل الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكفُر فَلَمّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ العَالَمِين﴾ الحشر: 16، وقوله أيضاً في معرض الحديث عن غزوة بدر وكيف زين الشيطان للكافرين محاربة المسلمين ثم نكص

على عقبيه. قال مولانا تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْه وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُم إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ الأنفال: 48. أما يوم القيامة فيقول لضعفاء النفوس والذين استجابوا له عوض أن يستجيبوا لله ورسوله ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُم فَأَخْلَفْتُكُم وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُم وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم: 22.

2 ـ إنّ الله تبارك وتعالى حكم أن يوم القيامة لا تنفع فيه الأحساب ولا الأنساب ولا الأسباب، فالسعيد في الآخرة من كان نسبه العمل الصالح والتعاون مع الصالحين لا مع الظالمين الطغاة البغاة، فإذا انتفع الإنسان من الظالمين في الدنيا بمال أو منصب أو جاه، فإن ذلك لا يدوم ويوم القيامة ينقلب كل ذلك إلى حسرة وندامة وملاعنة. قال تعالى في هذا المعنى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّه وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِه وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه﴾ عبس: 33-37، ﴿يُبَصَّرُونَهُم يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِه وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِه الَّتِي تُؤْوِيه * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيه﴾ المعارج: 11-14، ﴿فَإِذَا نُفِخَ

في الصُورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ المؤمنون: 101، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنهُم كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِك يُرِيهِمُ اللَّه أَعْمَالَهُم حَسَرَاتٍ عَلَيْهِم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار﴾ البقرة: 167-168.

وفي هذا الجو يحصل الندم الذي لا ينفع صاحبه، قال تعالى: ﴿ويومَ يعضُ الظالمُ على يَدِيهِ يقول ياليْتَنِي اتخذتُ مَعَ الرّسولِ سبيلاً * يا وَيلتى ليتَنِي لمْ أتخِذ فُلاناً خَلِيلاً﴾ لفرقان: 27-28.

3 ـ لقد وردت أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى عن أن يتولَّى المسلم بعض المناصب عند الحكام الظلمة، فضلاً عن الكفرة، منها قوله عليه الصلاة والسلام: «ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويُؤخِرون الصّلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يَكُونَنَّ عرِيفاً ولا شُرطَياً ولا جابياً ولا خازناً» وفي رواية «سيكون بعدي أُمراء (زاد في رواية) يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه وليس بوارِدٍ على الحوض».

ومن هنا قلت قبل الإضراب السياسي السلمي بسنوات أنه لا يجوز تولِي رجال الشرطة والدَرك والجيش في نظام يخالف شريعة الله تبارك وتعالى وأكدت ذلك في مقالة نشِرت في المنقذ.

اعلم أنه لا يجوز شرعاً طاعة المخلوق في معصية الخالق فقد قال عليه الصلاة والسلام «من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه».
ولك أُسوة حسنة في العلاّمة إبان بن عيسى بن دينار، هذا العالم الرباني امتنع عن قضاء طليطلة فحمل عليه بالقوة والإكراه وبقوة الحرس، فحكم بين الناس يوماً واحداً ثم لما أتى الليل هرب على سقوف البيوت فسقط فاندقّت فخذه فأصبح الناس يقولون هرب القاضي، فانتهى الخبر إلى الأمير فقال هذا رجل صالح فأعفاه وولاّه الصلاة بقرطبة.

وهذا أبو ميسرة من الفقهاء العبّاد الخائفين عرض عليه قضاء افريقيا فامتنع، وعندما أريد منه القضاء من طرف اسماعيل العبيدي الظالم الرافضي دعا ربه قائلاً «اللهم إنك تعلم أني انقطعت إليك وأنا ابن ثمان عشرة فلا تمكنهم مني»، فما جاء العصر إلا وقد توفي فكانت من كراماته.

خلاصة هذه النقطة:

لقد ذكرت لك أيها القاضي الأسباب في تقديم استقالتك من القضية، ومن هذا المنصب نصحاً لله تبارك وتعالى، فهل أنت فاعلٌ يا ترى ؟!! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّك لا تَهدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يهدي مَنْ يَشَاءُ وهو أعلم بِالْمُهْتَدينَ ﴾ القصص: 56.

نسأل الله الهداية والتوفيق آمين.

سادساً

المستقبل للاسلام ولوكاد الكائدون

اعلم أيُها القاضي أن المستقبل لهذا الدين وأن يوم الإسلام قادم وأن الخلافة على نهج النبوّة عائدة بإذن الله ﴿ إِنَّهُم يَرَوْنَه بَعِيدَاً * وَنَرَاه قَرِيبَاً ﴾ المعارج: 6-7 . وإنّ هذه التضحيات الجسام التي تقدم في العالم الإسلامي هي علائم الفتح المبين إن شاء الله وإن الطغاة البغاة الكفرة الفجرة لن يوقفوا مسيرة الإسلام العظيم وإن المستضعفين عائدون إلى الصدارة لقيام دولة الإسلام العادلة. قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُم فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ القصص: 5-6 .

ولا بأس أن أسرد بعض النصوص القرآنية والحديثية في أن المستقبل للإسلام وأنه لا يعدم رجالاً يدافعون عنه إلى قيام الساعة:

1 ـ آيات من القرآن:

ـ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِم وَيَأْبَى الله إِلاَّ أَن يُتِمّ نُورَه

وَلَوْ كَرِه الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِه الْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة: 32 ـ 33 .

- ﴿هو الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وكَفَى بِاللّه شَهِيدًا﴾ الفتح: 28 .

2 ـ الأحاديث النبوية:

- «لا يزال اللّه يغرس هذا الدين غرساً ستحملهم من طاعته».
- «لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة».
- «لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه وهم كذلك».

خلاصة الرّسالة

أيّها القاضي لقد أتيت الآن على نهاية هذه الرسالة راجياً من المولى أن تكون قد وضّحت لك قضايا هامة من الوجهة الشرعية حتى تتشجع على الاستقالة من القضية والمنصب معاً ابتغاء مرضاة اللّه، وأنا مستعد على أن أُعينك ابتغاء مرضاة اللّه على الطريقة التي بها تستقيل وتعيش في راحة البال عامر القلب بمرضاة اللّه تبارك وتعالى.

أما العبد الفقير إلى رحمة ربّه فلا يملك إلا أن يردِّد كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة». وقول ذلك الصحابي الجليل: -

ولست أبالـي حين أُقتـل مسـلماً

على أيِّ جنبٍ كان في الله مصـرعي

ولنا حديث مع رئيس المحكمة والنائب العام يوم المحاكمة إن قدّر الله وحده ذلك ولكل مقام مقال، وخير ما أختم به هذه الرسالة قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ غافر: 51.

ملاحظة: حررت يوم 23/نوفمبر، ليلاً عندما هدّدنا باستعمال القوّة إذا لم نمتثل أمام قاضي التحقيق بعد رفضنا المثول أمامه.

والسلام عليكم

المعتز بدين الله

سجين السجن العسكري بالبليدة

بن حاج بن علي.

حررت يوم 1993/3/30.

الفهرست

* * *

كتب أخرى للمؤلف

* الصاعدة الفتية من وراء السجون العسكرية
* فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام
* غاية المراد في قضايا الجهاد ـ أربع رسائل ـ

ترجمة الشيخ علي بن حاج

- هو أبو عبد الفتاح علي بن حاج وهو من مواليد 16 ديسمبر 1956 بتونس، ينتمي إلى منبت اجتماعي متواضع. ولد أبوه في ولاية أدرار - جنوب الجزائر - ، كان مجاهداً في جيش التحرير واستشهد عند الحدود الجزائرية التونسية.
- علي بن حاج أب لخمسة أطفال، تربى يتيماً في بيت جدته ثم في بيت خاله بالقبة (حي إبن عمار).
- درس في ثانوية الأخوين حامية - فرع أدبي - ثم أصبح أستاذ في المتوسط
- حفظ القرآن «على سبع قراءات» في سنة 1977 بتفسيره
- كان كثير الاطلاع على مؤلفات علماء السلف وبالأخص شيخ الإسلام ابن تيمية
- كان من الأوائل الذين دعوا إلى المنهاج السلفي العلمي في الجزائر
- ألقى عدة دروس في التفسير، الفقه، مصطلح الحديث، العقيدة، السيرة والأصول في مساجد العاصمة. (وهذا سنة 1978)
- أُدخل السجن سنة 1983، وحكم عليه بـ 5 سنوات وكانت التهمة قضية بويعلى، وقضى عقوبة 4 سنوات ونصف سجن، ودخل معظم سجون الجزائر مثل (الحراش، سركاجي، بروقيه، لمبيس في باتنة، تيزي وزو)، ثم قضى الأشهر الست الأخيرة تحت الإقامة الجبرية بورقلة، ثم خرج من السجن سنة 1987 (ديسمبر) وأول من اتصل به هو الشيخ عبّاسي مدني
- وهو من مؤسسي الجبهة الإسلامية للإنقاذ
- سجن مرة أخرى يوم 30 جوان 1990 في سجن البليدة، وحكم عليه بـ 12 سنة سجن.